

إذا ذكر الزعيم العربي ذكر المغرب

البعد الوطني في شخصية علال الفاسي



محمود صالح الكروي

بغداد

تصعب الإحاطة بكل جوانب الفكر والسياسي المغربي علال الفاسي (رحمه الله) (1910 - 1974) نظرا لما تميز به شخصيته من سمات عدة : مفكرا واديبا وصحفيا وشاعرا عربيا لامعا وقائدا سياسيا وعالم دين مجتهد (شكلت مؤلفاته في حد ذاتها ثورة تحديدية جريئة أعادت الاعتبار للنهضة الليبرالية العربية الإسلامية) ورجل قانون مشهور بتناجحه الحقوقي ومؤرخا بارعا للتحرك الاستقلالي في بلدان المغرب العربي وإستادا جامعييا، ووزيرا علمية في جمع هذه المجالات . وأمام هذه السمات الشخصية النادرة التي تميز بها علال الفاسي والتي تشكل كل واحدة منها عنوانا لدراسات وبحوث متعددة كتب عنها الكثير ولزالت آثار اهتمام الباحثين في مشرق الوطن العربي ومغربيه وفي العالم الإسلامي .

وإزاء هذا التنوع الإيجابي في سمات شخصية علال الفاسي ساحتوا التركيز على البعد الوطني في شخصيته والتي شكلت صمام الأمان لكل ما تميز به لاحقا . إذ تحلى علال الفاسي بالشعور بالمسؤولية الأدبية والوطنية منذ كان عمره خمسة عشر عاما عندما استطاع أن ينظم الشعر الوطني في قصيدته التي برسم فيها ملاح شخصية ليكون شخصية بارزة في تاريخ المغرب المعاصر . إذ جاء فيها :

أبعد يروح الخمس عشر العب وهو بلدات الحياة وأظرب ولي نظر عال ونفس أبية على هام الحجرة تطلب وعندي أمال اريد بلوغها تضعيم إذا بنفوق عن الطروحة التي تقدم بها ولي أمة منكودة الحظ لم تجد سبيلا الى العيش الذي تطلب قضيت عليها زهو عمري تحسرا فما ساع لي طعم ولا لذ مشرب سيعرفني قومي إذا جد جددهم كما عرفوني اليوم إذ قمت أخطب .

لذلك النضال الشعبي الوطني ضد تلك السياسة التي تمس الوحدة الوطنية في الصميم . وفي ظل الحضور المؤثر لعلال الفاسي في الساحة الوطنية المغربية عقدت كتلة العمل الوطني المؤتمر الانتخابي العام لها لاختيار قيادة منتخبة للكتلة ، اسفر المؤتمر عن انتخاب علال الفاسي رئيسا للكتلة ، ومحمد الحسن الوزاني أمينا عاما ، وما أعلنت نتائج الانتخاب حصل تطور سياسي مفاجئ إذ أعلن الوزاني انشقاقه عن الكتلة لاعتقاده انه الاصلح للرئاسة وتأسيسه حزب الحركة القومية .

وفي هذا الطرف الصعب والمفاجئ تبرز شخصية علال الفاسي في المحافظة على وحدة العمل الوطني ، إذ بذل جهدا كبيرا من أجل عودة الوزاني بالقيادة ولا الأخير فعل ذلك ، واستمر كل من موقعه يقود العمل الوطني لخدمة المغرب واستقلاله . وإزاء هذا الحضور الفاعل والمؤثر في مجريات الأحداث وتحتية إدارة الإحتلال الفرنسي في المغرب من تنامي وتعاظم دور علال الفاسي في الوسط الشعبي وانعكاس ذلك على مستقبل تواجدها في المغرب اقدمت سلطات الحماية الفرنسية على اعتقال علال الفاسي ونفيه الى جزيرة العجاون يوم 31 / 10 / 1937 ، ومنعت السلطات الفرنسية له في اتصال به بما في ذلك زيارة أهله له في محاولة منها لثنيه عن موقفه الوطني وانهاؤه تأثيره في نفوس الوطنيين والشعب بعد أن انتخب رئيسا للحزب الوطني لتحقيق المطالب

وكرر فعمل على هذا الموقف

وزرع روح الوطنية والإستقلالية والسيادة وحب المغرب في نفوس الملايين من المغاربة ، فكانت اناسيده الوطنييه والدينية ترانيل بردها طراز رفيع مثل مثل خير تمثيل وكان مفاوضا ونذا صلبا مؤمنا بفضيسته . وكانت صراحه في الزود عن حرية وطنه سببا في تمديد نفيه اربعة اعوام أخرى قضاها في ظل ممارسات نظام أسي من سبابه .

بتعزز هذا الموقف الوطني لاحقا بموقف وطني آخر من داخل المغرب مستنمعا مع ما ذهب اليه علال الفاسي في مفاوضاته مع ممثل الحزب الجزائري ديغول ، ليعلن قادة الحزب الوطني في المغرب في 11 / 1 / 1944 عن تأسيس حزب الإستقلال وتقديم وثيقة المطالبة بالإستقلال 1940 برئاسة الجنرال ديغول وكانت قيادتها تعمل في الجزائر ولندن وحكومة موالية لألمانيا في مدينة فكيمة الفرنسية برئاسة الجنرال بيلان بعد احتلال باريس ديغول (كانت فرنسا مقسمة ما بين فرنسا الحرة ضرورة أن تفكر في اجراء حوار مع علال الفاسي كونه شخصية وطنية معروفة ومؤثرة في المغرب بعد ان وطأت جيوش ديغول قرية ميولا في جنوب العجاون التي كان يقم فيها علال الفاسي ، اثرها اجري ممثل عن الجنرال ديغول اتصالا بعلال الفاسي وطلب منه ان يكتب لديغول شرحا بفضية المغرب وموقفه من فرنسا ، مع تقديم اغراءات لعلال في محاولة لاسترجاعه بالتحلي عن العمل الوطني مقابل العفو عنه وإطلاق سراحه والسماح له بالعودة الى المغرب ، إلا ان علال الفاسي الى إلا ان يبقى الوطني المحلص لشعبه ، وفتح أبوابه للوطنيين المنفيين في الخارج وفي مقدمتهم علال الفاسي الذي اضنى سبع سنوات منفي في العجاون .

اثر ذلك اصدرت سلطات الإحتلال الفرنسي واخر عام 1946 قرارا بالغفو عن السياسيين المنفيين شمل



علال الفاسي

وقد جاء إعلان خبر لجوء الخطابى الى مصر ليشكل صفة قوية وجهها علال الفاسي ورفاقه لخططات الإستعمار الفرنسي والتي الحربية وقوت الفرصة عليهم ، وبهذا العمل الوطني الجسور تصاعد نجم علال الفاسي في الأفاق الإنسانية رمز للوطنية المغربية .

وتعزز هذا الموقف الوطني في 20 / 8 / 1953 عندما أقدمت سلطات الإحتلال الفرنسي على خلع ونفي السلطان محمد الخامس الى جزيرة مدغشقر وتعيين ابن عرقه خلفا له . وما ان سمع علال الفاسي بالخبر حتى أعلن من القاهره نداهم الشهر الذي سمي بـ (نداء القاهرة) عبر إذاعة صوت المغرب في 20 / 8 / 1953 قائلا : (لا أعرف في عودة السلطان وإعلان الإستقلال) وفي هذا النداء دعا علال الفاسي المغاربة الى



الملك الحسن الثاني وبياناته علال الفاسي وأمامهم الرئيس المؤقت للحكومة الجزائرية فرحات عباس، وبياناته أحد أعضاء جبهة التحرير

الشورة واعتماد أسلوب الكفاح المسلح ضد الوجود الإستعماري ؛ وبدأت اثر ذلك شعيبا كبيرا من قبل أبناء الشعب المغربي بقيادة احد زعماء الحركات التحررية في المغرب العربي في القرن العشرين .. وبذلك أصبح علال الفاسي ندا وخصما عنيدا للاستعمار الفرنسي .

وفي القاهرة تعرض وطنية علال الفاسي لامتحان صعب من نوع جديد فاجسا به من قبل بعض المسؤولين المصريين آنذاك في محاولة لإقناعه بتولي رئاسة المغرب بعد استقلاله على سطر إعلان الوحدة مع مصر . وتثور تائرة علال الوطني وتجلج بالقول انه لن يقبل الفرنسي في المغرب إلا بعد عودة السلطان محمد الخامس ، بعدها أسهم علال الفاسي بدور بارز في فكرة التأسيس لمؤتمر بالونج لحركة عدم الانحياز التي قامت سلطات الإحتلال الفرنسي في القاهرة بقوة مضخامة للتعبير عن تطعات شعب المغرب في الحرة والإستقلال وفي تحريرة واضعاف سياسة الإحتلال الفرنسي انها حقت مبتغاهما ، وقد تناسى المحتلون ان علال الفاسي قد بنر

ان تعلم اللغة الفرنسية في المنفى) ومطالته باستقلال المغرب . بعد ان اطلع ديغول على رسالة علال اوعز باجراء مفاوضات ثانية مع علال وارسل اليه مندوبا اخر ، وبعد التفاوض والحوار مع المبعوث الجديد قبل علال الفاسي التعاون مع حكومة فرنسا الحرة (وحتى النوسط لدى الجزائريين والتونسيين بشرط واحد وصريح هو ان يعلن الجنرال ديغول استقلال المغرب منذ الآن) ، وجاء الجواب من ديغول فيما بعد (درست قضية الفاسي وسيكون التقرير مدار اقمامي . وقد سمي ديغول هذا التقرير بملف الفاسي .. هكذا تتجلى وطنية علال صادقة مخلصه في جها لوطنها وشعبها .

بذوره القيادي في إقناع قائد ثورة الريف عبدالكريم الخطابي (1882 - 1963) الذي قامت سلطات الإحتلال الفرنسي بنقله من منفاه في جزيرة ريبيون الى مدينة مرسيليا بفرنسا في محاولة غير معلنة للتلويج للسلطان محمد الخامس بامكانية عزله وتعيين الخطابي ملكا للمغرب

ما يتمتع به من شعبية عالية - وأثناء مرور الباخرة الفرنسية التي نقل الخطابي في مدينة السويس ورفاقه من فك أسر الخطابي ونقله سرا وعائلته الى القاهرة .

وصاحب الحل والعقد في الأزمة المغربية الفرنسية ، وادركت كل الاركان الأبعاد القوية لما شكله تهديد المقاومة الوطنية المغربية المسلحة القوي على مستقبل الوجود الفرنسي بكل أشكاله . بادرت الحكومة الفرنسية الى فتح حوار مع السلطان محمد الخامس في منفاه ، كما بادرت الى اجراء مباحثات مع كل الأطراف المصلحة للراي العام المغربي في مدينة (بيسان) من 22 - 28 / 8 / 1955 ، شارك في هذه المباحثات (37) شخصية من مغاربة وفرنسيين ذات الصلة بالأزمة المغربية الفرنسية ، مثل الجانب الوطني في هذه المباحثات ممثلين عن حزب الإستقلال وحزب الشورى والاستقلال وشخصيات مستقلة . وقد حرصت السلطات الحكومية الفرنسية على عدم الدعوة

والاستقبال واستقلاله ، إذ استأنف نشاطه السياسي كرئيس لحزب الإستقلال ، واختر عضوا رئيسيا لمجلس كتابة الدستور ، ثم انتخب رئيسا له ، وقدم مشروع القانون الاساسي للمملكة ، وشارك في وضع الاسس الأولى لدستور المملكة المغربية لسنة 1962 . ويؤمن بالديمقراطية والتعددية الحزبية والمشاركة الحزبية واشترك في الانتخابات التشريعية سنة 1963 وانتخب عضوا في مجلس النواب ، وكانت له اسهامات بارزة في التشريعات ، وانتخب عضوا في مجتمعي اللغة العربية بدمشق والقاهرة ، وعين وزيرا للدولة مكلفا بالشؤون الإسلامية ، ثم انسحب من الحكومة مع رفاقه في حزب الإستقلال عام 1963 . احتجاجا على السياسة الاقتصادية المتبعة آنذاك ، وعين استادا بكلية الشريعة التابعة لجامعة القرويين ، واستأذ في كلية الحقوق والاداب بجامعة محمد الخامس في مدينة الرباط وكذلك استأذ في دار الحديث الحسنية بمدينة الرباط ايضا .

واصل علال الفاسي قيادة حزب الإستقلال وشارك في اغلب النشاطات الوطنية في المغرب ، وانتقل حزب الإستقلال بقيادته الى ممارسة دوره كحزب معارض من داخل البرلمان ، وكانت للحزب وعائلته مساهمة في تعزيز البناء الوطني للمغرب في مجالات عدة ابرزها مشروع التعليم والتعريب من اللغة الفرنسية للغة العربية وعدها اللغة الرسمية الام للشعب المغربي . وبذلك أصبح علال

الفاسي شخصية عربية ومغربية ودينية معروفة لا يمكن حصر ابعادها في هذا المجال ، كان خاتمته زيارته ووقد مراق له رومانيا بدعوة من جبهة الوحدة الاشتراكية - ولقائه الرئيس الروماني نيكولا تشاوشيسكو (1967 - 1989) وهو يحاوره في قضية وطنية في قضية الصراة والقضية الفلسطينية والعلاقات العربية الرومانية . وأثناء الحوار يحاسب علال الفاسي بنوية قلبية مفاجي وهو في مكتب العمدة . في 13 / 5 / 1974 ، وينقل على اظها الى المستشفى وتفاقر روحه الطاهرة الحجا ، ونقل جثمانه بعد ظهر يوم 14 من الشهر نفسه الى مزاره مؤطرة ورومانية الى ارض الوطن ، ونقل التعش بحضور حشد جماهيري كبير الى منزل علال الفاسي في حي السويسي بالرباط ، وقد حضر الملك الحسن الثاني بنفسه الى المنزل في يوم 15 / 5 / 1974 بواسطة عائلته ولف التعش بقطعة قماش من كسوة العمدة . وبعد ذلك ارسل الملك ولي عهده الامير مولاي عبدالله لتمثيله في حضور الطقوس الدينية التي اقيمت في منزله ، ودفن الراحل علال بمقبرة الشهداء في مدينة الرباط ؛ وكانت وفاته شهادة ميلاد جديدة .

وإذ يحثف شعيبنا في المغرب بالذكري 43 لوفاته (رحمه الله) ، فإن استذكار العظيم واجب يفرضه الوفاء للبطولة والأخلاق ، إذ يهني الله للحق شخصيات وانصارا ، إذا تكرت تكروا ، فإذا ذكر سقرط ذكر افلاطون ، وإذا ذكر غاندي تكرت الهند ، إذا ذكر عاد ذكر المسفر

لقد فرض علال نفسه على التاريخ المغربي والعربي والإسلامي المعاصر باستحقاق وكان احد صناعه ، إذ غدا نضاله الوطني ينتاجه العربي في مختلف المجالات ارضا وطنيا وعربيا وإسلاميا واسبانيا تقرا لبيان مشار ناقش ووجهات نظر بانتظار ما تسفر عنه الوثائق مستقبلا .

القبت الحاضرة في مجلس الشجر باب العبادي الثاني

الاستعماري البغيض عمت التظاهرات الوطنية من المغرب بما فيها مدن الشمال التي كانت تحت الحماية الإسبانية ، وكانت تلك التظاهرات تهتف بحياة علال الفاسي كرمز وطني كبير ، وفي تونس توقف العمل ثلاثة ايام تضامنا مع شعب المغرب واستنكارا لنفي علال ، والحال نفسه في الجزائر إذ عمت التظاهرات المنددة بقرار النفي ، وتناقلت وكالات الأنباء الدولية اسم علال كرمز من رموز الوطنية الغربية .

وبنفي علال الفاسي اعتقدت سلطات الإحتلال الفرنسي انها حقت مبتغاهما ، وقد تناسى المحتلون ان علال الفاسي قد بنر



علال الفاسي مع حزب الإستقلال عام 1946